



الإبحار
إلى قلب
صديقي المسلم



بقلم خوس بيترز

GUUS PETERS

الإبحارُ إلى قلب صديقي المسلم

بقلم خوس بيترز

الإبحار إلى قلب أصدقائي المسلمين
الحقوق محفوظة © 2011 خوس بيترز
إصدار النسخة العربية بواسطة:
معهد عمواس للكتاب المقدس
ص.ب 51240، الناصرة

www.lifeismore.net

Navigating to the Muslim heart

By Guus Peters

Published in Arabic by

Emmaus Bible Ministry

P.O. Box 51240

Nazareth, 16100

English ISBN: 970-90-97488-02-5

المحتويات

| الصفحة | المحتوى |
|--------|--|
| ٤ | شكر وتقدير |
| ٥ | مقدمة |
| ٧ | توطئة |
| ٩ | ١. الثلاجة |
| ١٠ | ٢. عازف البيانو |
| ١٢ | ٣. بئر لحي رُئي |
| ١٥ | ٤. بركة أم لعنة |
| ١٧ | ٥. النظام |
| ١٨ | ٦. محبة أم كراهية |
| ٢٠ | ٧. ينبغي أحياناً أن نحافظ على كتابنا المقدس مغلقاً |
| ٢١ | ٨. أرواد |
| ٢٣ | ٩. السبت |
| ٢٤ | ١٠. لا يمكن وقف إنتشار الإنجيل |
| ٢٥ | ١١. توفالو |
| ٢٧ | ١٢. مسيحي واحد يُحدِّثُ فرقاً |
| ٢٨ | ١٣. إرادة الله لنا أن نلتقي |
| ٣١ | ١٤. التابوت |
| ٣٢ | ١٥. المشاركة في كرة القدم والإيمان |
| ٣٤ | ١٦. رسالة من صديق |
| ٣٦ | ١٧. علبة من الكعك تُحدِّثُ فرقاً |

شكر وتقدير

أود أن أقدم شكري لكل من كريستين لأنها دفعتني لكتابة هذا الكتيب، ولمايك ومارتن وفولكر لتشجيعهم المستمر ونصائحهم القيّمة، ولأناميك من أجل طول أاناتها وكذلك لكل الملاحين اللطفاء الذين وصلوا إلى مرفأهم المنشود (مزمور ١٠٧: ٣٠).

مقدمة

عندما التقيت خوس بيترز خلال أحد المؤتمرات كنت قد تأثرت جداً من رغبته في الوصول إلى الملاحين وخاصة أولئك القادمين من البلاد الإسلامية. لقد أمضى حتى الآن سنوات عديدة يعمل في إرسالية الملاحين لأجل يسوع المسيح، فهو يتوجه إلى الذين يتعلّق عملهم في السفر في البحار، هؤلاء الملاحين الذين يقضون نصف السنة وأحياناً كل السنة يسافرون من قارة إلى أخرى ينقلون إمّا البضائع أو الركاب.

هناك وضع خاص للملاحين على ظهر السفن، إذ أنهم بعيدون عن بيوتهم منفصلين عن عائلاتهم وعن مجتمعهم ويعيشون قريبين جداً مع أناس من شعوب مختلفة، ويعاني العديد منهم الحنين إلى الأهل والوطن، وآخرون لا يعرفون كيف يحلّوا مشاكلهم البيتية، وطالما هم على ظهر سفنهم فإنه قلّما الفرص لهم للإتصال بأحبائهم في البيت بصورة طبيعية، ثم إن الكثيرين منهم يحملون أعباء ثقيلة على كاهلهم بينما هم يعملون على ظهر سفنهم.

نادراً ما تيسر للملاحين الفرصة، وهم على ظهر السفن، للإلتقاء بأي شخص يثقون به أو مشاركته بأعبائهم لينعموا بالمشورة الرعوية، لولا خوس وزملائه الذين يكرّسون أنفسهم لزيارة الملاحين على ظهر سفنهم، حيث أنه يتكلم إليهم ويصغي لكلامهم ويدعوهم إلى كنيسته وإلى عائلته وبيته بينما تكون سفينتهم راسية في المرفأ.

يقطن العديد من الملاحين في بلاد تستحيل فيها حرية الإتصال بمسيحيين أو إبداء الإهتمام بالإيمان المسيحي أو طلب الكتاب المقدس، وتساور البعض منهم أحياناً رغبة شديدة لدراسة المزيد حول شخصية يسوع المسيح، بينما

يبحث آخرون بيأس شديد عن حلول للمشاكل العديدة في حياتهم وعن شخص يتحدثون إليه ويُظهر إهتماماً صادقاً بهم وبمشاكلهم كأفراد.

تنشأ الصداقات والاتصالات ويستغلّ الملاحون الفرصة ويشاركون بما يعتمل في قلوبهم، فالبعض يجد الحلول لمشاكلهم عندما يضعون ثقتهم بيسوع ويدعونه إلى قلوبهم ومن ثم ينطلقون فَرِحِينَ. تخبرنا القصص الواردة في هذا الكتيّب عن هذه اللحظات الرائعة في حياة الملاحين المسلمين عندما يعرفون من هو يسوع المسيح.

يبحث خوس دائماً عن المفتاح لقلوب البشر مما يجعل هذه القصص تحرّك مشاعر من يقرأها. إنني متيقنةٌ من أنها ستكون مصدر تشجيع لكل المسلمين الذين يقرءونها وللمسيحيين لأنها تبين إمكانية الوصول إلى قلوب المسلمين لمن يرغب منهم في الشهادة.

يزور خوس وزملاؤه السفن وملاحيها مصلين إلى الله لكي يرشدهم إلى الذين قلوبهم منفتحة إذ تقول كلمة الله (رومية ١٠:١٤) «فَكَيْفَ يَدْعُونَ مَن لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ. وَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ مَن لَمْ يَسْمَعُوا بِهِ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُونَ بِلَا كَارِزٍ؟»

د. كرستين شيرماخر

جامعة بون، دراسات إسلامية

محاضرة في بون وهامبورغ-ألمانيا

توطئة

عندما بدأت عملي كمُرسل لرواد الموائى في مرافئ هولندا وبلجيكا ١٩٩٢، لم يكن لدي أدنى فكرة عن واقع الحياة على ظهر السفن. وسرعان ما اكتشفت أن الفكرة الرومانسية عن حياة الملاحين كانت خاطئة كلياً. ففي معظم الوقت لا يتسنى للبحار النزول إلى الشاطئ، وبوجه عام، يُعتبر الملاح شخصاً يقوم بأعمال شاقة ويكون بعيداً عن عائلته نحو تسعة أشهر من كل سنة.

إن المشكلة الكبرى التي يعاني منها الملاح هي الحقيقة الخالصة المتمثلة في افتقاده إلى أسرته، زوجته، أولاده، والديه، إخوته وأخواته وأصدقائه. هنا ينشأ فراغ يمكننا أن نملاه قليلاً. إن دعوتنا كمبشرين في الموائى هي أن نكون أصدقاء للملاح. يعلمنا يسوع في يوحنا ١٥:١٥ «لَا أَعُوذُ أَسْمِيكُمْ عَبِيداً لَأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحْبَاءَ لِأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي». وكأصدقاء للملاحين ينبغي أن نخبرهم بالأمور التي أخبرنا بها يسوع لأن هذا موضوع حياة وموت، وغالباً ما يبعث هذا الأمر الراحة فيهم لو يدركون أن باستطاعتهم أن يطلبوا من الله الإهتمام بأحبائهم. وأنه يرغب في أن يرشدهم إلى مرفأهم المنشود كما يقول المزمور ١٠٧:٣٠، من الطبيعي أن مساعدتهم في مجالات أخرى هي جزء من عملنا أيضاً.

لم أكن أحمل أية فكرة عن عدد القوميات المتناثرة على ظهر السفن، وقد كانت مفاجأة كبيرة لي أن يكون باستطاعتي التعرف على أكثر من ٩٠ قومية في الموائى كل عام. فأنا أقوم بهذه الخدمة في هولندا وبلجيكا، وقد فوجئت كثيراً عندما عرفت أن العديد من السفن والملاحين هم من بلدان يصعب نشر الإنجيل فيها إن لم يكن من المستحيل. في كل سنة أتعرف على المئات والمئات من الملاحين من بلدان مثل إيران، العراق، مصر، سوريا، لبنان، الجزائر، تركيا، باكستان، المغرب، بنغلاديش، ماليزيا، إندونيسيا، جزر المالديف، نيجيريا، السنغال وساحل العاج.

تحققت سريعاً من مدى الإمكانات الكبيرة المتوفرة لدينا للوصول بالإنجيل مليون ملاح هم من أُل ١,٢ لأناس من تلك البلدان، بيد أنني لا أعلم كم من هذه البلاد، لكنني أعرف فقط أن واحداً من بين كل ثمانية أشخاص أقابلهم هم من المسلمين، إنهم يحملون الكثير من الكتب المقدسة وأقراص الأفلام ومواد مسيحية أخرى إلى بلادهم وكثيرون منهم يقبلون المسيح مخلصاً ورباً. وإني لسعيد جداً أن يوضع الإنجيل في العديد من الموانئ حول العالم على متن هذه السفن. تضم إرسالية البحارة التي أنتمي إليها نحو أربعين مرسل يعملون في موانئ مختلفة حول العالم، كما ونتعاون مع إرساليات أخرى أيضاً.

عندما بدأت عملي إكتشفت أيضاً أنه من الصعب الشهادة لملاحين مسلمين. أدركت أن سبب ذلك هو الخوف الذي يطغى علي، لكنني نجحت في التغلب على الموقف ورأيت أمامي وعود الله في الكتاب المقدس للعالم الإسلامي. فمثلاً في إشعياء ١٩: ٢٣-٢٥ يقول الله: «في ذلك اليوم تكون سكة من مصر إلى أشور فيجيء الأشوريون إلى مصر والمصريون إلى أشور ويعبد المصريون مع الأشوريين. في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثاً لمصر ولأشور بركة في الأرض بها يبارك رب الجنود قائلاً: مبارك شعبي مصر وعمل يدي أشور وميراثي إسرائيل».

بدأت أتكلم بصراحة عن يسوع المسيح. وعلاوة على ذلك إكتشفت أن عدداً من زملائي في موانئ أخرى يجدون أيضاً صعوبة وكذلك معظم المسيحيين في بلادي مما جعلني أعقد العزم على أن أكتب هذا الكتيب الزاخر بالشهادات حول كيف أتكلم إلى الملاحين المسلمين وأشرح لهم الإنجيل بأحاديث شخصية نابعة من القلب إلى القلب يحذوني الأمل بأن يكون هذا الكتيب مساعداً ودافعاً للعديد من المسيحيين. إنه يقدم إرشاداً لكيفية الوصول إلى المسلمين بالإنجيل، بالإضافة إلى ذلك، فأنا متأكد من أنه سيكون أيضاً دافعاً لهم وهم يقرءونه لكي يروا كيف أن مسلمين آخرين قد وجدوا المسيح، وبأنهم بكل

تأكيد ليسوا مستثنين من القيام بإختيار يسوع. أصلي أن يستخدم الله هذا الكتيّب بنعمته بطريقة فعّالة للوصول إلى أناس من البلاد بعيدة لكي يأتي ملكوته ولتكن مشيئته. ولأسباب تتعلق بالأمن الشخصي والأمن العام لم تُذكر الأسماء الحقيقية للملاحين في هذا الكتيّب وعليه فقد استخدمت أسماء مستعارة في مجمل الكتيّب إيّاه.

الثلاجة

لماذا أشعر دائماً أنني مميّز عندما أصدع إلى سفينة ملاحها من البلاد الإسلامية؟ يرجع الأمر إلى أكثر من أربع عشرة سنة عندما اعتليت لأول مرة سفينة من بلد معيّن، كان الجو بارداً جداً بل حتى عدائياً، شعرت وكأني جالس داخل ثلاجة. بذلت كل ما في وسعي لأبدأ محادثة مع أحدهم لكن دون جدوى ولم أختبر إلا الرفض. أردت أن أهرب من هذا الوضع وأترك السفينة بسرعة لكن عندئذ سمعت صوتاً في داخلي: «خوس، هل أنت مستعد أن تجلس معي في هذا البرد القارس؟» أدركت أن هذا كان صوت الرب، وأدركت أيضاً أن يسوع هو الذي كان جالسا في تلك اللحظة: بيّفي وسط البرد وطلب مني أن أبقى في صحبته. لقد كان جوا «إن كان علي أن أكون صادقاً أفضل ألا أجلس». ثم سمعت الصوت مرة أخرى: «إذاً سوف تختبر هذا الوضع مرات عديدة».

أدركت عندها أنني إن لم أتعلم الدرس لن أتمكن من الشهادة للمسيح أمام المسلمين لذلك صممت على أن أتحمل البرد وأكون مسروراً جداً أن تتاح لي صحبة المسيح. ومن تلك اللحظة بالذات تأكدت من أنني لست وحيداً على ظهر السفينة، وأن يسوع هناك معي دوماً! ومنذئذ كانت لنا جلسات عديدة معاً في الثلاجة، وقد أصبحت تلك اللحظات لحظات قيّمة عندي لأنه لم يكن هناك إلا يسوع وأنا. ولهذا لا أجد صعوبة أبداً في زيارة الملاحين لأنني أعلم

أن يسوع ينتظرنى هناك لنصعد سلم السفينة معاً، ونتمتع دوماً بصحبة بعضنا البعض. إنه يقوم بالعمل في البرد وفي الحر. هذا وقد أصبح نشر الإنجيل بين هؤلاء المسلمين الأعزاء دعوة خاصة لى. الشكر والفضل للثلاثة!

عازف البيانو

صعدت على ظهر سفينة تركية في أصيل يوم سبت. إن أجمل شيء حول زيارة الملاحين الأتراك هي عندما يُشعرونك في الأغلب بأنه مرحّب بك. فهم كثيراً ما يقدمون لك دوماً شيئاً لتشرب. وإني أحب بشكل خاص الشاي المحلى الذي يقدمونه. وبينما كنت أشرب الشاي مع إثنين من الملاحين، حاولت أن أبدأ معهما بحديث، فسألتهما عن عائلتهما وكم من الوقت مرّ عليهما وهما على ظهر السفينة في محاولة لأجد مدخلاً إلى الحديث الروحي. فجأة ظهر على الباب رجل ضخم الجسم، كان يحمل في يده كتاب العهد الجديد باللون الأزرق وبينما كان يلوح به سألني بصوت مرتفع: «هل أنت مسيحي؟» فكان ردّي تأكيدياً فأخبرني في الحال أنه قرأ هذا الكتاب مرتين وعنده الكثير من الأسئلة حول ما قرأ، فرأيت أنه ليس من الحكمة أن نناقش الموضوع علناً أمام البحارة الآخرين فدعوته إلى بيتي لتتجاذب أطراف الحديث. فقبل الدعوة.

في الطريق إلى البيت طلب مني فتحي أن أتوقف عند بائع زهور. فقام بشراء بعض الأزهار الجميلة ليقدّمها لزوجتي. وعندما دخلنا غرفة الجلوس كان ممتلئاً فرحاً عند رؤية أولادنا، وشعرت أنه رقّ قلبه عندما رأى ابنتنا وما هي إلا أن أبصر البيانو واستأذن أن يعزف عليها، وبطبيعة الحال، لم تكن هناك مشكلة، فقد كان يعزف بفرح بالغ، ومما يُدهش له أن رجلاً بهذه الضخامة يعزف بهذه المشاعر الفيّاضة.

حدّثني أنه متزوج وأب لإبنتين توأمين في عمر إبتنتنا ولهذا السبب رقّ قلبه عندما شاهدها. لقد ذكّرتُه بإبنتيه الإثنتين اللتين لم يراهنّ منذ فترة طويلة. لم يكن السبب تعاقده الطويل مع شركة الملاحة كَبْحَار، إمّا السبب الرئيسي أنه كان يعيش منفصلاً عن زوجته وأولاده بسبب بعض المشاكل القائمة بينه وبين زوجته. أما مسألة إشتياقه لإبنتيه فقد كانت أمراً بالغ الوضوح.

وإذ أخذنا نتجاذب أطراف الحديث، أخبرني أنه كان يبحث عن الحق لفترة طويلة. كان مسلماً لكنه لم ترُق له فكرة قراءة القرآن بالعربية، فأخذ يبحث في الشيوعية لكنه لم يجد الحق في مبادئها، وقبل شهرين إستلم كتاب العهد الجديد من زميل بحار تركي! فقرأه وتأثر بفحواه وقد قرأه مرتين منذ ذلك الحين.

لم يقرأ القرآن أبداً لأنه بالعربية لكنه إستمع مرات عديدة للأئمة في المساجد. أراد أولاً أن يعرف الفرق بين الكتابين، فشرحت له أن القرآن هو كتاب يقده المسلمون. وكمسيحي، فإن الكتاب المقدس بالنسبة لي هو كتاب. يعلم القرآن الشريعة وقواعد السلوك في الحياة اليومية، بينما يخبرنا الكتاب المقدس أننا جميعنا خطأة ونحتاج إلى الخلاص، ويخبرنا أيضاً كيف يمكن أن نخلص بذبيحة ابن الله نفسه الذي جاء إلى هذا العالم كائناً بشرياً كاملاً، هو يسوع المسيح. إن يسوع المسيح هو الإنسان الوحيد الذي عاش بلا خطيئة لأنه هو الله المتجسّد. أعطيته فيلم «يسوع» باللغة التركية ليشاهده وطلبت منه أن يعود للمناقشة حول الفيلم.

ولأن السفينة كانت راسية في الميناء لأكثر من أسبوع، فقد وعد بأن يشاهد الفيلم ويعود إليّ. بعد يومين إلتقيت به مرة أخرى وكان قد شاهد الفيلم وأحبه حقاً. من هنا أصبح من الممكن بالنسبة لي الآن أن أشرح له الإنجيل الذي يتحدث كله عن المغفرة. فهم أن يسوع المسيح مات لأجل خطاياهم وأراد أن يعترف بهذا. قلت له إنني لا أعلم سبب الخلاف مع زوجته ولم يكن حتى هذا من شأنه، لكنني قلت له أيضاً أنه مهما حدث بينهما فينبغي أن

يسعى للمغفرة تجاه زوجته. وقلت له أن الله يغفر لنا خطايانا ولهذا السبب تُستعاد العلاقة بيننا وبين الله. إن الحق كله عن العلاقة وأنه يمكننا أن نُقيم علاقة مع الله ذاته. إن الله يسامحنا، وعليه أريد أن أفكر في هذا بالنسبة لعلاقته مع زوجته. وقبل أن يغادر أخبرنا أنه يحلم في التوقف عن الإبحار ليشترى قارباً صغيراً، وبعد حين سوف يُبحر مع سِيَّاح في المياه التركية.

لم أسمع منه كلمة واحدة لمدة طويلة وإذا برسالة طويلة تصل منه على نحو فجائي يخبرني فيها أنه توقف عن الإبحار وأنه اشترى قاربه الخاص، لكنها كانت كارثة. فقد أفلس، ولكنه أخبرني أيضاً أن هذا الأمر لم يهمله لأنه كان أسعد رجل في العالم لأنه عاد إلى زوجته وإبنتيه الإثنتين. ثم سألتني أيضاً أين يمكن أن يتعمد؟ ولأني لا أعرف الوضع الحالي في بلاده قلت له ألا يقلق لهذا الأمر، ولما كان قد اتخذ هذا القرار، ففي نظر الله يُعتبر وكأنه قد إعتمد، وسوف تسنح دون ريب، الفرصة المناسبة للمعمودية الحقيقية.

بئر لحي ربي (تكوين ١٦: ١٣)

لم تمض أيام قليلة على إتساع رقعة الغضب على أثر الهجوم على بناية التوام زرت سفينة مصرية. كان وقت الغذاء عندما دخلت غرفة الإستراحة وإذا بي أمطر بوابل من الأسئلة: ما رأيي عن الحادي عشر من أيلول، صدام حسين، بوش وإلخ؟ فقلت إن أحداث الحادي عشر من أيلول سنة ٢٠٠١ هي جريمة ضد الله لأن خلائق الله الغالية قد تم قتلها. وقلت لهم أيضاً أنه يجب علينا ألا نسلك سبيل السياسيين وعلى وجه التأكيد ليس صدام حسين ولا بوش. لكن ينبغي أن نتبع يسوع المسيح.

ومن ثمَّ قلت لهم أن مصر لعبت في الماضي دوراً مهماً في خطة الله للخلاص

وسوف تقوم بنفس الدور في المستقبل أيضاً. ثم قرأت على مسامعهم إشعياء ١٩: ٢٣-٢٥: «في ذلك اليوم تكون سكة من مصر إلى أشور فيجيء الأشوريون إلى مصر والمصريون إلى أشور ويعبد المصريون مع الأشوريين. في ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثاً لمصر ولأشور بركة في الأرض بها يبارك رب الجنود قائلاً: مبارك شعبي مصر وعمل يدي أشور وميراثي إسرائيل». وقصصت عليهم كذلك وبإختصار ما حدث لهاجر في سفر التكوين.

أندري ماذا حدث بعد ذلك؟ تقدم واحد منهم يدعى كريم ودعاني إلى أن أعود إلى قمرته في مساء ذلك اليوم وطلب مني أن أشرح له كل ما قلته لهم. لم أقو على الكلام، كانت هذه أول مرة أدعى فيها لأقدم درساً في الكتاب المقدس لطاقم من البحارة المسلمين على ظهر السفينة. عندما وصلت في المساء كان في انتظاري سبعة مصريين، كان ينبغي علي أولاً أن أتناول الطعام معهم، إن اختباري يشير إلى أن إظهار حسن الضيافة والمشاركة في الطعام يلعبان دوراً مهماً على متن السفن من البلدان الإسلامية. أفلم يكن الوضع مماثلاً في تلك الأيام عندما كان يسوع يتجول في عالمنا؟ وأثناء تناول الطعام كان يسوع يشرح أسرار ملكوت الله. إن وقت الطعام هو دوماً الزمن الذي يسترخي فيه الناس. إنه وقت المشاركة والشركة.

ناولت «تلاميذي» كتباً مقدسة، سألتهم أولاً إن كانوا يؤمنون بالرؤى والأحلام. أجب كريم أن طلب تفسير الأحلام من مختصين أمر شائع في مصر لكن الإعلان الأخير من الله أعطي لمحمد. سألتهم أيضاً إن كانوا يعرفون من كان أول شخص في العالم العربي حصل على الرؤيا، فلم يعرفوا. عندها قصصت عليهم قصة هاجر كما وردت في سفر التكوين ١٦: ١-١٥ و ٢١: ٨-٢١، إن الشخص الأول كان امرأة، هي هاجر.

لقد استخدم الله في الماضي هاجر، جدة العرب، (سواء أحببت ذلك أم لا) لأجل برنامجه للخلاص وفيه نرى خطة الله لأجل الخلاص في الحاضر وفي المستقبل، فنقرأ في تكوين ٢١: ١٧-١٩ ما يقول الله: «مَا لَكَ يَا هَاجِرُ؟ لَا تَخَافِي لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ لَصَوْتِ الْغُلَامِ حَيْثُ هُوَ. قَوْمِي إِحْمَلِي الْغُلَامَ وَشُدِّي يَدَكَ بِهِ لِأَنِّي سَاجِعُهُ أُمَّةً عَظِيمَةً وَفَتَحَ اللَّهُ عَيْنَيْهَا فَأَبْصَرَتْ بَثْرَ مَاءٍ».

في تكوين ١٦ نرى أن هاجر لم تحترم طريقة الله الخارقة للطبيعة التي سلكها مع أبرام وزوجته، كما أنها لم تتطلع إلى الله، لكن الله نظر إليها وأظهر ذاته لها عند البئر، بئر لحي ربي والتي يعني «أنظر وابق حياً»، والعجيب في الأمر أيضاً أنه في نفس بئر لحي ربي حيث كانت رؤيا هاجر، كان لقاء إسحاق برفقة (تكوين ٢٤: ٦٢-٦٣)، وقد كان في طريقه للسكنى هناك (تكوين ٢٥: ١١).

قلت لهم أن هذه النبوءة هي للمستقبل القريب، فإن نور المسيح، يسوع المسيح، سيرتفع فوق خيمة إبراهيم عندها يظهر الله نفسه للعالم الإسلامي وستسكن إسرائيل قرب البئر بأمان، بئر لحي ربي. في وقتنا هذا لا يبحث العالم الإسلامي ولا إسرائيل عن الله فكلاهما يتبعان قوانين وقواعد، ومن ناحية روحية أنتم هاجر المتعطشون للماء. لكن البئر موجودة - يسوع المسيح! إنه البئر الحقيقية - بئر لحي ربي، فعندما تقبلوه مخلصاً لكم، لن تموتوا عطشاً بل ستدركون أن هناك الكثير من الماء لتبقوا أحياء سوية مع إسرائيل أخيكم غير الشقيق. والآن يمكنكم أن تفهموا ما أخبرنا به إشعيا ١٩: ٢٣-٢٥ إن مصر وأشور وإسرائيل يكونون بركة لهذا العالم، وهذا يحدث فقط عندما تقبلون يسوع المسيح مخلصاً لكم. إن الاختيار لكم فماذا تطلبون، الموت عطشاً أم البقاء على قيد الحياة؟

طلب كريم أن يكلمني على انفراد في اليوم التالي. عدت إلى السفينة لأصطحبه معي. وبينما كنا نسير في غابة صغيرة سألني عما يجب أن يفعل،

فأخذت أشرح له الإنجيل بكلمات بسيطة. قال لي أنه يريد أن يقبل يسوع المسيح مخلصاً لحياته. طلبت إليه أن يعبر عن ذلك بكلماته فقال ببساطة شديدة: «أشكرك اللهم لأنك غفرت لي خطاياي بواسطة يسوع». ثم سألتني إن كان بإمكانه أن يخبر زملاءه بالأمر، فنصحته بأن يكون حذراً ويصغي لصوت الله في قلبه. «عندما تشعر برغبة لتخبر أحداً، إفعل. بيد أني أعتقد أنه من الحكمة ألا تخبر المجموعة كلها إنما تخبر فقط شخصاً مهتماً بالموضوع في حديث خاص، أفلم تطلب أنت نفسك أن تكلمني على انفراد؟» ومنذ ذلك الوقت إلتقيت بكريم عدة مرات وسرّني أن أعرف أنه يقرأ الكتاب المقدس وأن اسمه قد كُتب في سفر الحياة.

بركة أم لعنة

تكلّمت إلى عبدالله على ظهر ناقلة حاويات من السعودية، وهو قبطان من باكستان، كان حديثنا يدور عن إسرائيل وقد كان عدائياً جداً نحو اليهود. أريته ما كُتب في تكوين ٣:١٢ حيث يخبر الله إبراهيم أنه سيبارك مباركيه ويلعن لاعنيه. قلت له إن طريقة تفكيره خطيرة، فقال أنه مندهش من هذه الفكرة وطلب أن أشرحها له، فقلت أن ذلك ممكن إن كان مسموحاً لي القراءة من كتابي المقدس وهو مستعد للإستماع. فوافق. فقلت له إن حقيقة تاريخ العالم موجودة في تكوين ٣:١٥ حيث نقرأ: «وَأَضَعُ عِدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ».

هذا هو الصراع الدائم في هذا العالم. يسعى الشيطان دوماً لإبادة إسرائيل. لكنه يستطيع فقط ضرب عقب إسرائيل وستسحق إسرائيل رأسه.

هنالك فقط شعبان ذو أهمية في تاريخ العالم.

الشعب الأول إسرائيل الذي يُدعى «إبن الله البكر» (خروج ٤: ٢٢)، الشعب الثاني عماليق الذي يُدعى «الأول بين الأمم» (عدد ٢٤: ٢٠) أي ما يعني ابن إبليس البكر. وكان عماليق، كما جاء في الكتاب المقدس، لا يكف أبداً عن محاولة إبادة إسرائيل.

في سفر العدد ١٧: ١٧-١٨، نقرأ كيف يهاجم عماليق إسرائيل: عندما كان الشعب مُتعباً ومُرهباً قَطَعَ الطريق على الذين في المؤخرة حيث الأطفال والنساء والشيوخ، ويقول أيضاً أن عماليق لم يخاف الله. إن في تصرف عماليق هذا نجد صفات إبليس المميّزة ألا وهي ضرب العقب.

في سفر صموئيل الأول ١٥: ١-٣٥، نقرأ أن إسرائيل فضلوا أن يكون لهم ملكاً (شاوُل) بدلاً من الله. وفي الحال يدخل الملك في إمتحان. كان على شاوُل أن يُبدي عماليق، لكنه قتل من لا يستطيع الإستفادة منهم وبُقي على عجاج، ملك عماليق، وعلى خيار الخراف والبقر. لم يقم شاوُل بعمل ما طلب الله منه أن يعمل- أن يسحق رأس عماليق، ولهذا السبب رفض الله شاوُل وصار الملك لداود وهو أيضاً دخل على التّو في امتحان: جوليات فكأن الله يقول له: «هلمّ نرى إن كنت تسحق رأس إبليس» وهذا ما قام به داود بالفعل.

يعود عماليق في كل مرة بصورة كل من يطلب إبادة إسرائيل. وهو ما نراه في صموئيل الأول ٣٠ وفي سفر إستير.

ففي سفر إستير ٣: ١٠ نقرأ أن هامان، الأجاجي، كان من نسل عماليق، وفي العدد ٦ نرى أن هامان يطلب إبادة جميع اليهود، وفي العدد ١٠ نقرأ أنه كان عدواً لليهود، لكن هامان فشل أيضاً، لأنه يستحيل إبادة اليهود. وفي سفر إستير ٧: ١٠ نرى نهاية هامان. وفي ٩: ٢٠-٢٥ أن أعداء اليهود يُسحقون.

نلاحظ في التاريخ العام أن أمماً عديدة طلبت أن تبدي اليهود، فقد حاولت

النازية ذلك في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية لكنها فشلت، وهناك العديد من الأمثلة أيضاً. وها أنت ترى نفس «روح عماليق» في العالم الإسلامي. فقلت لعبدو أنه واقعٌ في خطر حقيقي طالما أنه يحمل هذا التوجه الروحي العدائي لأن الربّ سوف يلعنه.

إستعرضت أمامه أيضاً إشعياء ٢٣:١٩-٢٤ حيث نقرأ أن آشور ومصر ستعبدان الرب مع إسرائيل، وسوف يكونون بركة في وسط البلاد والربّ سيباركهم.

سألت عبديو ماذا يريد، البركة أم اللعنة؟ فلكي يحصل على البركة يجب أن يقبل ذبيحة الله، يسوع المسيح. ناولته كتاباً مقدساً وفيلم يسوع بلغة الأوردو.

وبالرغم من أنني تكلمت مباشرة عن الموضوع فقد شكر لي هذا التعليل حق الشكر. لقد كان هذا اللقاء مرة أخرى تشجيعاً لي لأفتح له على كلمة الله كل ما تسنح الفرصة بذلك.

النظام

أرسل لي أحد الزملاء من ميناء آخر رسالة إلكترونية يطلب فيها مني القيام بزيارة لشخص يدعى منصور وهو أحد المهندسين من إيران على ظهر سفينة إيرانية كان منفتحاً جداً للإنجيل ورجب بالمزيد من الحديث، وقد طلب من زميلي أن أكون حذراً جداً ولا أسأل عنه علانية إذ سيجدني من تلقاء ذاته. بطبيعة الحال إحتزمت طلبه ومن ثم صعدت إلى سفينته ما بين الساعة الثانية عشرة والواحدة وقابلت منصور للحظة قصيرة وسألني إذا كان يمكنني أن أعود في الساعة السابعة والنصف مساء وقد عملت بحسب هذا الطلب. أراد أن يكلمني على انفراد لكن ليس على ظهر السفينة، فأخذته إلى مركز المدينة وهناك مكثنا حتى الساعة العاشرة نتبادل الأحاديث الشيقة وقد كان متعطشاً جداً!

سألني حول رأيي في محمد، النبي المسلم. قرأت على مسامعه من رؤيا ١٠:١٩، «فإنَّ شَهَادَةَ يَسُوعَ هِيَ رُوحُ النُّبُوَّةِ». إنَّ نَبِيَّ اللَّهِ يَاقم دائماً شهادة ليعسوع المسيح، أما محمد فلم يقم بهذا. طلب إبداء رأيي في الدين الإسلامي فشرحت له أن الإسلام، مثل عدة ديانات، تضع الله جانبا وتستبدله بنظام ويصبح النظام الله وعلى الناس أن يخضعوا أنفسهم لهذا النظام. وافقني منصور الرأي لأنه يعلم حق العلم أن هذا متبع في بلده، إلى جانب هذا كانت لديه أسئلة عديدة مفيدة جداً وقد قضينا معا مساءً رائعاً، وقد وعد بأن يفكر بكل ما تكلم به مع زميلي ومعني. وبعد أسبوعين تسلمت رسالة إلكترونية من زميلي يخبرني فيها بأن منصور قد أنهى دورة دروس بالكتاب المقدس بالمراسلة وحصل على علامة ٩٨،٤٪! إنه بحصوله على درجة كهذه يمكننا القول أنه يفهم الإنجيل فهماً كاملاً. تخيل كم يكون العمل عظيماً حين يكون تعاون ما بين العديد من الزملاء في موانئ مختلفة حول العالم.

محبة أم كراهية

على ظهر سفينة جزائرية كان لي حديثٌ جادٌ مع أحد الموظفين يدعى علي، سألته عن الأوضاع الحالية في الجزائر، وقد قُتل خلال السنوات الخمسة عشر المنصرمة نحو مائة ألف شخص بأعمال عنف مختلفة. فأبلغني أن أخاه، وهو رجل إطفاء، قد أوداه الجيش قتيلاً. ثم سألته عما حصل في قلبه منذ ذلك الوقت، فقال لي أن تلك الفعلة سببت له كراهية شديدة ومنذ مدة طويلة أراد الانتقام لموت أخيه، وقد حُكم عليه بالسجن لمدة سنة لأنه سُمع يتفوه بهذه الكلمات علناً. وبينما هو يقبع في السجن مات والده ولم يُسمح له بالإشتراك في جنازته مما سبب له ألماً وحزناً وازداد بذلك كراهية. فقلت له أن الله نفسه يدرك هذا النوع من الألم من اختباره الخاص وهو يرى ابنه يموت.

طلبت منه أن يسمح لي بقراءة من الكتاب المقدس معه، فوافق وقرأت من سفر الملوك الثاني ٦: ٨-٢٣. في هذه القراءة نرى أن الله لا يختار الكراهية، فعندما هُزِمَ الأعداء وأراد ملك إسرائيل أن يهلككم، قال له نبي الله في العدد ٢٢: «لَا تَضْرِبْ! تَضْرِبُ الَّذِينَ سَيِّئَتْهُمْ بَسَيْفِكَ وَبِقَوْسِكَ. ضَعْ خُبْرًا وَمَاءً أَمَامَهُمْ فَيَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا ثُمَّ يَنْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدِهِمْ».

سألت علياً إن كان قد ضلَّ طريقه ذات مرة، فأوماً برأسه بالإيجاب. «ماذا فعلت لتجد طريقك ثانية؟» فقال أنه طلب من أحدهم أن يرشده إلى الطريق. «وكيف كان شعورك عندما وصلت إلى المكان المقصود؟» قال أنه أحس براحة وسعادة، فقلت له: إنني أشعر أنك قد ضللت طريقك والآن أنت تسير في الإتجاه الخطأ، الكراهية. «لكن المكان الذي يُعدهُ الله لك في مسار آخر، محبة ونعمة».

أثرت هذه الكلمات في نفسه، وسمح لي بأن أشرح له الإنجيل.

كان عنده العديد من الأسئلة، ومثل أغلب المسلمين سألت كيف يمكن أن يكون لله ابن؟ فأخذت أشرح له قائلاً إنني ابن والدي، أب لأولادي، أخ لإخوتي وأخواتي وعليه فليس من الصعب أن تكون أباً وإبناً في نفس الوقت. سألته، «ما الذي يجعلك أباً؟ أهي الحقيقة المتمثلة فقط بأنه لديك أولاد جسيدين من صُلبك؟ هنالك العديد من الآباء الذين لا يعتنون بأولادهم، لا يحبونهم ولا يعلمونهم فهل هؤلاء آباء؟ من ناحية طبيعية، نعم. لكن لفظه «أب» هي أيضاً لقب. فأنت تحمل اللقب «أب» إن كنت تحب أولادك، تتمنى لهم الأفضل وتُثَقِّفهم بطريقة سليمة. وهكذا الأمر عندما تكون إبناً حتى أُنِي لأطلق كلمة «أبناي» على الأولاد في فريق كرة القدم عندما يقومون بعمل ما تعلموه خلال التمرين، وإن يسوع ليستحق لقب «ابن» لأنه عمل مشيئة الآب على نحو كامل، وبقي بلا خطيئة، وبهذا صار حَمَلُ الكفارة الكامل ليغفر خطايانا مرة وإلى الأبد.

تحول علي إلى إنسان عاطفي وأراد أن يعرف المزيد عن كل هذا، أعطيته العهد الجديد وفيلم يسوع باللغة الفرنسية.

ينبغي أحياناً أن نحافظ على الكتاب المقدس مُغلقاً

طلب مني مصطفى، الضابط الثاني على سفينة تركية، إذا كان من الممكن أن أقضي معه ساعتين من الزمن. فقد قرأ الكتاب المقدس ليقارنه معي بالقرآن، فاقترحت أن يُبقي القرآن والكتاب المقدس مغلقين وأن نُجري حديثاً من القلب إلى القلب. طرحت عليه سؤالاً: «هل كان مع إبراهيم قرآن؟» فأجاب: «لا».

«هل تكلم الله مع إبراهيم؟»، كان سؤالاً التالي.

فأجاب: «نعم»

فسألت، «هل تكلم إبراهيم إلى الله؟» فأجاب، «نعم».

فقلت له إن الله يريد أن يكلمه بنفس الطريقة، وقدمت له أمثلة من حياتي الشخصية وشرحت له كيف يتم هذا معي. ثم أخبرته أنه في كل سنة لا يزال كل المسلمين يُقدّمون حملاً كذبيحة، لكن قصد الله كان أن يوضح لإبراهيم أنه لا يريد ذبائحنا، فإن الله نفسه سيتدبر أمر ذبيحة الكفارة. إن يسوع المسيح هو حمل الله الكفاري. ثم قلت لعلي أنه، من ناحية روحية، يشبه إبراهيم الذي نظر خلفه ليرى الكباش العالق في الشجيرات. «وبنفس الطريقة فإن يسوع المسيح عالق في شجيرات دماغك وينبغي أن تحلّه. لقد تم تقديمه ذبيحة لأجلك قبل زمن بعيد لكي تغفر خطاياك».

وفي الحال قال علي، «هذا ما أريده لنفسي!» وبهذه الطريقة إستطعت أن أقود هذا التركي المسلم إلى المسيح.

أرواد

قمت بزيارة لعدة سفن من سوريا وقد لاحظت أنه كان من الصعب دائماً الخوض في حديث روحي مع البحارة السوريين. إنهم ودودون في معظم الوقت ولم يكن هنالك أبداً مشكلة في تقديم بعض الأكل أو الشراب. ولاحظت أيضاً أن معظم الملاحين السوريين يأتون من جزيرة أرواد التي تبعد نحو ميلين عن مدينة طرطوس، وقد كنت دائب البحث عن طريقة للإتصال الحقيقي بهم، لكنني لم أجد المفتاح لهذا الباب.

فجأة وفي أحد الأيام، كنت أشاهد برنامجاً تلفزيونياً عن سوريا على التلفزيون البلجيكي، وخلال البرنامج عُرض شيء عن أرواد لمدة دقيقتين، وقيل أن الرئيس السوري، الأسد، يعتبر سكان أرواد أكثر الموالين والداعمين له. وكملّاحين، فإنه كثيراً ما تتحّين لهم الفرص ليستقروا في الخارج لكنهم يعودون دائماً إلى سوريا لكي يدعموا عائلة الأسد، وقيل في البرنامج أيضاً أن أرواد مذكورة في سفر التكوين.

في الأصحاح العاشر من سفر التكوين نقرأ لائحة بأسماء الأمم وفي العدد ١٨ نقرأ أن الأرواديين كانوا من نسل حام. فتشت عن أماكن أخرى في الكتاب المقدس تذكر شيئاً عن الأرواديين فوجدت في سفر حزقيال ٨:٢٧ أن رجال أرواد كانوا مُجذّبي السفن السوريين، ومنذ ذلك الحين كان الأرواديون ملاحين! وفي العدد ١١ من نفس الأصحاح نقرأ أن الأرواديين كانوا حُرّاساً للأسوار كما كانوا في الجيش أيضاً.

هنا وُجد المفتاح الذي بحثت عنه طويلاً! كلمة الله هي دائماً المفتاح لقلب الإنسان، وعلى ظهر أية سفينة سورية كنت أقول دائماً أن أرواد مذكورة في السفر الأول من الكتاب المقدس، وهكذا كان البحارة يشعرون بالإعتزاز عند سماع هذا النبأ. وعندما أخبرهم بأن حزقيال يذكرهم في سفره قبل ٢٦٠٠ سنة كبحارة، أحسوا بالإرتياح، وكنت أقول لهم إن الله يحبهم فعلاً طالما

أنه يذكر أناساً من جزيرة بهذا الصغر في كتابه، ومنذ لم يعد الحديث معهم صعباً عليّ، ومن هنا أخذوا يتناولون الكتاب ويريدون أن يقرأوا فيه بأنفسهم، وهم فخورون جداً بأن زيادة البحر تجري في عروقهم.

كان عزيز أحد الأرواديين الذين تعرفت عليهم خلال شهر رمضان. قال لي أن هذا الشهر هو شهر صيام عند المسلمين، فسألته إن كان يشعر حقاً بأنه صائم فقال: نعم. فسألته، «هل أنت متأكد من جوابك؟» فأجاب بنعم، فسألته عندها كم وجبة يتناول خلال الـ ٢٤ ساعة؟ فكان جوابه «ثلاث وجبات لكن ليس خلال النهار»، فقلت له، «إذاً فأنت تتناول خلال الـ ٢٤ ساعة نفس كمية الطعام التي أتناولها أنا، سوى أنك تتناولها في الليل بينما أنا أتناولها في النهار، وبإمكاني أن أقول لك أيضاً أنني أصوم خلال المساء وفي الليل»، قلت له أيضاً أنني أعرف العديد من المسلمين في بلادي ممن يأخذونهم في الإزدياد في شهر رمضان لأنهم يحضرون ويتناولون أطعمة خاصة. ثم استعرضت أمامه ما يقول الله عن الصيام كما جاء في إشعياء ٥٨: ١٢-٥: «أَمْثَلُ هَذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ؟ يَوْمًا يُذَلِّلُ الْإِنْسَانَ فِيهِ نَفْسُهُ يُحْنِي كَالْأَسَلَةِ رَأْسَهُ وَيَفْرِشُ تَحْتَهُ مَسْحًا وَرَمَادًا. هَلْ تُسَمِّي هَذَا صَوْمًا وَيَوْمًا مَقْبُولًا لِلرَّبِّ؟ أَلَيْسَ هَذَا صَوْمًا أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُبُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عَقْدَ النَّيْرِ وَإِطْلَاقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا وَقَطَعَ كُلَّ نَيْرٍ. أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْرَكَ وَأَنْ تَدْخُلَ الْمَسَاكِينَ التَّائِهِينَ إِلَى بَيْتِكَ؟ إِذَا رَأَيْتَ عُرْيَانًا أَنْ تَكْسُوهُ وَأَنْ لَا تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ حِينَئِذٍ يَنْفَجِرُ مِثْلَ الصُّبْحِ نُورُكَ وَتَتَبْتُ صِحَّتَكَ سَرِيعًا وَيَسِيرُ بَرُّكَ أَمَامَكَ وَمَجْدُ الرَّبِّ يَجْمَعُ سَاقَتَكَ. حِينَئِذٍ تَدْعُو فَيَجِيبُ الرَّبُّ. تَسْتَعِثُ فَيَقُولُ: «هَتْنَدَا». إِنْ نَزَعْتَ مِنْ وَسْطِكَ النَّيْرَ وَالْإِيمَاءَ بِالْإِصْبَعِ وَكَلَامَ الْإِثْمِ وَأَنْفَقْتَ نَفْسَكَ لِلْجَائِعِ وَأَشْبَعْتَ النَّفْسَ الذَّلِيلَةَ يُشْرِقُ فِي الظُّلْمَةِ نُورُكَ وَيَكُونُ ظِلَامُكَ الدَّامِسُ مِثْلَ الظُّهْرِ وَيَقُودُكَ الرَّبُّ عَلَى الدَّوَامِ وَيُشْبِعُ فِي الْجُدُوبِ نَفْسَكَ

وَيَنْشِطُ عِظَامَكَ فَتَصِيرُ كَجَنَّةٍ رِيًّا وَكَنْبَعِ مِيَاهٍ لَا تَنْقَطِعُ مِيَاهُهُ. وَمَنْكَ تُبْنَى
الْخَرْبُ الْقَدِيمَةُ. تُقِيمُ أَسَاسَاتِ دَوْرٍ قَدَوْرٍ فَيَسْمُونَكَ «مَرَمَمَ الثُّغْرَةَ مُرْجِعَ
الْمَسَالِكِ لِلسُّكْنَى».

أثرت هذه الأعداد في قلب عزيز تأثيراً حقيقياً وأصبحت الآن قادراً على أن
أشرح له الإنجيل: نحن خطاة وبحاجة إلى مُخلص وهذا المخلص هو يسوع
المسيح. يسمي الكتاب المقدس الأرواديين بالملاحين ويسمي يسوع المسيح بابن
الله الذي مات لأجل خطايا الجنس البشري. طلب عزيز لنفسه كتاباً مقدساً.
يُعطي الله الإنسان دائماً أكثر مما يطلب وعليه فقد قدمت له أيضاً دورة
دراسية بالمراسلة باللغة العربية.

السبت

طلب مني أحد الزملاء من ميناء آخر أن أزور نصري، بحار مبتدئ على
ظهر سفينة من إيران وقد سبق أن أجاب هذا الزميل على كثير من أسئلة
نصري وأهداه كتاباً مقدساً. كان نصري سعيداً للقائي لأنه لا يزال عنده الكثير
من الأسئلة التي تتعلق بالإختلافات بين المسيحية والإسلام، وكان أحد هذه
الأسئلة عن يوم الراحة المغاير عند المسيحيين. فقدمت له التفسير التالي:
خلق الله الإنسان في اليوم السادس وفي اليوم السابع إستراح من كل عمله
فأصبح هذا اليوم أول يوم في حياة الإنسان. ولكي يُقِيمَ إتصالاً مع الله كان
على الإنسان أن يدخل راحة الله، وهو معنى يوم الراحة - الدخول إلى راحة
الله. يجب أن ندخل راحة الله كل يوم من أيام الأسبوع - الأحد، الإثنين،
الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة والسبت. وهكذا كان بمقدور يسوع أن
يشفي مرضى في يوم الراحة لأنه كان دوماً في راحة الله.

وقلت له أيضاً أنه من الممتع التكلم عن كل هذه الإختلافات لكن الإختلاف الجوهرى يدور حول شخص يسوع المسيح. فعندما لا تؤمن بموته لأجل خطايك تستمر في الدوران كشخص ضالّ ينتهي إلى تفتيش مُحبط. إن تقديمك ذبيحة كل سنة لا يوصلك إلى أي مكان، فإنك تظل واقعاً في شرك خطايك إلى الأبد إن لم تقبل ذبيحة الله نفسه في يسوع المسيح، وعلى أساس تكوين ١٠:٢٢-١٣ (الذبيحة البديلة لعائلة واحدة)، خروج ١٢:١-١٣ (ذبيحة بديلة لأمة كاملة) ومتى ٢٧:٤٥-٥٠ و ٢٨:٦ (ذبيحة بديلة لكل البشرية)، أستطعت أن أشرح الإنجيل لنصري.

كانت العادة المتبعة في أيام إبراهيم أن يُقدّم الإبن البكر كفارة. ولذا فعندما طلب الله من إبراهيم أن يعمل نفس الشيء مع إبنه البكر بدا له الأمر عادياً. لكن الله أراد أن يبيّن لإبراهيم أنه لا ينتظر هذا النوع من الذبائح. فإن الله نفسه يتدبر أمر الذبيحة. وهكذا أخذت جماعات الله تتسع وتتسع. كانت في البداية عائلة واحدة (إبراهيم)، ثم أمة واحدة (إسرائيل)، وبعدها كل العالم. قلت لنصري إن إبراهيم فهم هذا الدرس، وحن الوقت ليفهم نفس الدرس كل من إسرائيل والإسلام. النبوءة من تكوين ١٢:٣، «تتبارك فيك (إبراهيم) جميع قبائل الأرض» سوف تتحقق بكل تأكيد. أعطيت نصري دورة دروس بالمراسلة بلغته الفارسية وقد وعد بدراساتها.

لا يمكن وقف إنتشار الإنجيل

على ظهر سفينة من إيران تكلمت إلى ملاح بارع يدعى عزيز. وبعد محادثة قصيرة في غرفة الإستراحة دعاني إلى غرفته وفي الحال لفت نظري كتاباً مقدساً موضوعاً على طاولته. فقال لي أنه حصل على التوراة قبل ثلاث سنوات من أحد زملائه في ميناء آخر ومنذ ذلك الحين يحمل معه الكتاب

في كل سفينة يعمل عليها ويقرأ منه كل يوم، ثم أخبرني أنه يريد أن يؤمن بيسوع لأن المسيحية أفضل بكثير من الإسلام. فقلت له إن كان الأمر كذلك فيجب عليه أن يتخذ إختياراً شخصياً بأن يسوع المسيح هو «حمل» الذبيحة وينبغي عليه أن يعترف بهذه الذبيحة لمغفرة خطايه الذاتية. فقال أنه يفهم كل هذا وأنه يريد أن يقبل يسوع مخلصاً له. أعطيته دورة بالمراسلة بلغته الفارسية. طلب عزيز مني كتاباً مقدساً ليحمله إلى حميه في إيران والذي كان يرغب أيضاً في أن يؤمن بالمسيح. لم يكن بحوزتي كتاباً مقدساً بالفارسية فاضطر أن يكتفي بالعهد الجديد.

توفالو

لم أكن أتوقع كثيراً أن ألتقي بآماس على ظهر سفينته. كان من جزيرة توفالو في المحيط الهادىء. لم أكن أعلم أن هناك مسلمين يقطنون في هذه الجزيرة. لقد كنت ألتقي أحياناً بأناس من توفالو وكانوا من الكاثوليك أو الإنجيليين. قلت لآماس إنني مندهش لكونه مسلماً، فقال أن والديه كانا ينتميان في السابق إلى الكنيسة الكاثوليكية لكنهما تحوَّلا إلى الإسلام لأنهما أرادا لأولادهما تعليماً مجانياً، وهذا ما يحدث كثيراً. وقبل مدة قصيرة قرأت في إحدى الصحف أن ٦٦٠ عاملاً صينياً في سكة الحديد يعملون في سكة حديد جدة-مكة إعتنقوا الإسلام، ولكي يحافظ الصينيون على عملهم إختاروا الإسلام ديناً بدل خسارة وظائفهم لأنه لا يسمح لغير المسلمين بدخول مدينتي مكة والمدينة.

لكن حدث عكس هذا تماماً، فقد سمعت قصصاً كثيرة من ملاحين من الهند يقولون أن هندوس ومسلمين تحولوا إلى المسيحية لأنهم أرادوا الحصول على بعض المنفعة. وهكذا حصل آماس على تعليم إسلامي، وقد اعترف ذات مرة

أنه لا يشعر بالميل نحو الإسلام. لقد كان يبحث عن راحة لنفسه إذ لم يكن يستطيع السيطرة على الجانب المظلم من قلبه.

تحدثنا طويلاً عن النور وعن الظلمة، شرحت له أنه عندما خلق الله هذا العالم كان هنالك شجرتان مهمتان في الفردوس، شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشر، أوصى الله آدم أن لا يأكل من ثمر شجرة معرفة الخير والشر. وكما نعلم لم يستطع آدم وحواء أن يقاوما الأكل من ثمر شجرة معرفة الخير والشر. إستطعت أن أفسر لآماس أننا نحن بطبيعتنا نحب تناول ثمر هذه الشجرة دون أن ندرك أن جذورها هي تماماً مثل تناول ثمر الشر. إن الديانة تعمل بموجب هذا دائماً، ثم إن الديانات تملي علينا قوانين وقواعد بأن تناول الكحول شيء سيء وكذلك التدخين وأكل لحم الخنزير وأمور أخرى. وإذا ما خالفت القانون فإنك تتعرض لدينونة.

لكن شجرة الحياة تختلف تماماً. فإن شجرة الحياة هي يسوع المسيح وهي شجرة المحبة. فعندما أحبك لا أقتلك، وعندما أحبك لا أسرق منك، وعندما أحبك لا ألمس زوجتك، وعندما أحب والداي أكرمهما. ويمكنني أن أقول، على سبيل المثال، لمدمن على الكحول «إن الشرب غير حسن». فمن المحتمل جداً ألا أتمكن من الحديث معه لأنه يعلم من ذاته أن هذا مُضِرٌّ، لكنه لا يستطيع أن يكف عن ذلك. ويمكنني أن أقول أيضاً، «أظن أنك تكثر من الشرب، فهل من مشكلة؟ أيمكنني أن أساعدك؟» وفي هذه الحالة من المحتمل أن نبدأ بحديث مفيد.

إن الديانة الإسلامية تشبه الأكل من الشجرة الخطأ، والديانة المسيحية كثيراً ما تسلك نفس الطريق، وعليه يجب أن نبحث عن علاقة مع الله نفسه، وهذا ممكن فقط عن طريق يسوع المسيح، شجرة الحياة. فرح آماس كثيراً عندما حصل على كتاب مقدس ودورة «أعظم رجل حي» بالمراسلة. بعد شهر

استلمتُ أجوبةَ الدروس برسالة إلكترونية وقد كتبَ آماس بالحرف الواحد: يسوع المسيح هو المَسِيحُ، ابنُ الله ومخلِّصُ البشرية. نعم، أريد أن أخلِّصَ من خطاياي لأنني أريد أن أتحرر منها. اليوم، التاسع من أيلول ٢٠٠٩ أضع ثقتي بيسوع المسيح كمخلِّصِ الشخصي وأعترف بأنني خاطئٌ وهو فقط يستطيع أن يخلِّصني». وبطبيعة الحال أنا سعيد جداً لأن المزيد من النور قد دخل جزيرة توفالو في المحيط الهادىء.

مسيحي واحد يُحدثُ فرقاً

كتب لي أحد الزملاء من ميناء آخر يطلب مني أن أزور إرروي، ملاح فيليبيني مسيحي. كان يعقد إجتماعاً لدراسة الكتاب المقدس على ظهر كل سفينة يعمل عليها، ويسرني دائماً أن أقوم بزيارة متابعة من هذا القبيل لأنني أعلم أنني أساعد بذلك ملاحين كثيرين أمثال إرروي الذي يعمل على ناقلة حاويات ترسو في مينائي مرةً كل خمسة أسابيع.

في أول زيارة إلى إرروي تبين أنه قد جمع أربعة أشخاص ومواد كتابية للدراسة، أعطيته أيضاً أقراص أفلام وكان أحدها يدعى، «أكثر من أحلام»، وعلى هذا القرص تشاهد قصة خمسة مسلمين سابقين من مصر ومن إندونيسيا، تركيا، نيجيريا وإيران آمنوا بالمسيح. تمتعنا بالحديث معاً وقضينا وقتاً طويلاً في الصلاة.

بعد خمسة أسابيع قابلت إرروي ثانية. لقد حدّث الكثير منذ ذلك الوقت. فعندما كانت سفينة إرروي في غانا إتصل به عن طريق راديو السفينة أحد الملاحين الفيليبينيين المسيحيين يُدعى آرشي الذي كان يوزع كتباً مقدسةً على ظهر سفينته. كان آرشي صديق إرروي وبحاجة إلى كتب مقدسة، فأعطاه إرروي معظم الكتب التي كنت قد أعطيته إياها لأنه كان يعرف أنني

سأعطيه نسخاً أخرى. لقد كان أمراً مشجعاً لي أن أسمع كيف يعمل الله وكيف يسدُّ حاجة أولاده بكل ما يحتاجونه للخدمة. إن الكتب المقدسة التي أعطيتها لإلروي تجوب المحيط الهندي وتعمل عملها في ناحية ما منه!

لكن لم يكن هذا كل شيء. كان إلروي على إتصال ببعض العاملين ورجال أمن في موانئ كل من غانا، ساحل العاج وتوغو، وكانوا على ما يبدو من المسلمين. زودت إلروي بكتب جديدة بالفرنسية ليقدمها لأهل أفريقيا. لقد أصبح عيسى من غانا، أمادو وداودا ومحمودو من ساحل العاج مسيحيين بسبب شهادة إلروي،

على أنه حدثت هناك أحداث أخرى. فلقد أصبح لوقا، أحد أعضاء مجموعة دراسة إلروي، مسيحياً، وعندما قمت بزيارة السفينة في تشرين الثاني ٢٠٠٩ إقترب مني لوقا ليُطلَعني على مشكلته. يظهر أن صديقه، مورا، والتي يريد أن يتزوجها كانت مسلمة، فطلب مني أن أقدم له نصيحة كيف ينبغي أن يتصرف. فقلت له بما أنه يحبها وهي تحبه فما عليه إلا أن يخبرها بما حدث ويشاركها بشهادته.

كم كانت دهشتي كبيرة عندما وصلتني رسالة بالبريد الإلكتروني من مورا تطلب مني أن أشرح لها الإنجيل، فتأثرت جداً! وها أنا على إتصال مكثف معها عن طريق البريد الإلكتروني، وإني لأرسل نسخة من رسائلي إلى لوقا على نحو متواصل. أرسلت لها دروساً بالمراسلة في الكتاب المقدس وقد أتمت دراستها. وبعد حين بعثت لي برسالة تقول فيها أنها تريد أن تتبع المسيح وتريد زواجاً مسيحياً. لم تخبر والديها بهذا الأمر خشية من رد فعل والدها السلبي.

لم يكن هذا كل ما في الأمر، فلقد ترك إلروي إرثاً جميلاً على السفينة. صار الطباخ رودى قائداً لدرس الكتاب المقدس ويطلب مني أن أعطيه أقراص فيلم «يسوع» وأقراص فيلم «أكثر من أحلام» وكتباً مقدسة أخرى لأنه يتوق أن يوصل الإنجيل إلى أفريقيا كما كان إلروي من قبله.

أراد الله لنا أن نلتقي

في مساء كل يوم إثنين أخدم في نادي الملاحين الذي يُعجُّ دائماً بالملاحين لأن هذه هي فرصتهم لإستعمال الإنترنت أو إجراء المكالمات الهاتفية أو قضاء فترة إسترخاء من أعباء العمل، وكثيراً ما أجد الفرصة للتحدث معهم وأسألهم إن كانوا يفضلون السير قليلاً أو الصلاة أو تلقّي درساً في الكتاب المقدس حيث أنني على إستعداد لذلك.

في أحد الأمسيات أخبرني يوسف وهو ملاح جزائري، أنه يريد أن يعرف أكثر عن المسيحية. سألته عن سبب ذلك فقال أنه يريد أن يقرر لنفسه، وقال أيضاً، حسب إعتقاده، أنه من الأفضل التعلم في الصَّغر. فطلبت إليه أن يرافقني إلى الكنيسة حيث يمكننا الحديث دون إزعاج. كان يوسف يجيد اللغة الإنجليزية بينما أنا أعرف القليل من الفرنسية فشجَّعته على أن تكون المحادثة بالإنجليزية حتى إذا ما صَعَّب عليه ذلك، نستطيع أن نتحول إلى اللغة الفرنسية.

كان سؤاله الأول، «لماذا يحتفل المسيحيون بعيد الميلاد بأيام مختلفة؟» هذا صحيح إذ يحتفل المسيحيون بعيد الميلاد يوم ٢٥ كانون الاول، و ٧ و ١٨ كانون الثاني وذلك يتوقف على الطائفة التي تنتمي إليها. قلت ليوسف أنني لا أعلم السبب بالضبط لكن الناس يحبون دوماً أن يقيموا لأنفسهم أعمدة منحوت عليها صور أوثان، ولا يهم اليوم الذي يحتفل فيه المسيحيون بعيد الميلاد. ففي عيد الميلاد نتذكر ونحتفل بمجيء يسوع المسيح إلى عالمنا. فإذا ما احتفلنا في ٢٥ كانون الاول أو ٧ أو ١٨ من كانون الثاني فهذا لا يهم كثيراً، إنما المهم إذا كانت ولادة المسيح في قلوبنا. إننا كثيراً ما نرى مثل هذه الأمور، فالناس يقدِّسون مكاناً أو بناية وحتى أشخاصاً، وبدل عبادة الخالق نبدأ بعبادة المخلوق، وهذا تجده في ديانتك، وأن هناك أماكن مقدسة عديدة للمسلمين. حتى أنك لتجد هذا في كتابك القرآن الذي هو مقدس في نظر

المسلمين، والتوراة الذي هو كتاب مقدس عند المسيحيين أيضاً، لكنني أقول أنهما ليسا إلا مجرد كتب فحسب، وبدل أن نتبع كتاب الله يجب أن نتبع إله الكتاب، وبدل أن نبحث عن عجائب الله يجب أن نبحث عن إله العجائب، وبدلاً من أن نحب كتاب الله ينبغي أن نحب الله نفسه.

ثم سأني يوسف عن الفرق الحقيقي بين المسيحية والإسلام، فأجبت أنه الإختلاف ما بين الديانة والعلاقة. فالديانة تأتي بالقوانين والقواعد التي يجب أن تتبناها، بينما العلاقة هي إتصال ما بين قلب وقلب. قلت ليوسف إن لي علاقة قلب إلى قلب مع الله نفسه وهذا صار ممكناً بسبب ذبيحة يسوع المسيح. نحن جميعنا خطأ نحاول أن نتبع ناموس الله بقلب خاطيء، لكن هذا غير ممكن. يقول لك الناموس لا تقتل، لا تسرق، لا تزني وإلخ. وهذا بحد ذاته حسن. تحاول أن تعمل كل هذا خوفاً من العقاب، لكن لعن قلبك يريدك في نفس الوقت أن تقترب من الزنى، أن تسرق أو يريد أي شيء آخر. على أن الله ينظر دائماً إلى حالة قلبك، غير أن الأمر يختلف تماماً عندما تقوم بأعمال مدفوعاً بالفداء والمحبة. فعندما أحبك لا أقتلك، ولا أسرق منك، وعندما أحبك لا أؤلم زوجتك، وعندما أحب والداي أكرمهما. سألت يوسف: «هل يمكنك أن تتخيل الله نفسه آتياً إلى عالمنا ويموت عن خطايانا؟» إن يسوع المسيح هو الله وليس مجرد رسول. عندها طلب يوسف مني كتاباً مقدساً فأعطيته واحداً باللغة الفرنسية وكذلك دورة دروس بالمراسلة. لم أر في حياتي شخصاً سعيداً بالكتاب المقدس إلى هذه الدرجة، فوعدني بأن يقرأ الكتاب ويتم دراسة الدورة.

بعد ثلاثة أشهر رست سفينته في المرفأ، فأني إلى نادي الملاحين يوم الأحد، لكنني لم أكن هناك فأنا أخدم أيام الإثنين فقط. لقد ترك لي رسالة يقول فيها أنه أراد أن يعطيني أجوبة دورة المراسلة ويريد أن يسألني عنها. في نهار اليوم التالي ذهبت إلى سفينته لكنه لم يكن موجوداً فلم نلتق ببعضنا البعض مرة أخرى.

وبعد ستة أسابيع عاد إلى الميناء. وفي طريقي إلى السفينة تأخرت بسبب

حركة المرور ولم أستطع التقدم إلى الأمام أو التوجه يميناً أو يساراً، وبينما كنت أنظر إلى رصيف الشارع رأيت يوسف هناك، لوّحت إليه بيدي فجاء إلى سيارتي، قبّلني على وجنتي، وبدأ لي أن الأمر غريب إذ أنني لست معتاداً على ذلك، فأخبرني على التواتر أنه قد سنحت له الفرصة لكي يعمل على سفينة أخرى ليحصل مرة ثانية ليعرف المزيد بي على دخل أكبر، لكنه لم يفعل لأنه أراد أن يلتقي عن يسوع المسيح، فذهبنا معاً إلى نادي الملاحين حيث راجعنا إجابات دورة المراسلة التي تحتوي على مائة وعشرين سؤالاً، وكانت عنده ستة أخطاء فقط. فقلت ليوسف أنه قد تفهم الإنجيل وإلا لما أمكنه أن يحصل على درجة عالية. فقال أنه يؤمن بأن يسوع المسيح هو الله وأن كل الموضوع هو عن الغفران فلا صعوبة في الحصول على درجة عالية. لذلك شجعتته على أن يقبل المسيح في ، وبكل بساطة أجاب قائلاً «نعم». ثم طلبت منه أن قلبه ويؤججه رباً ومخلصاً ، يسمح لي بالصلاة لأجله وطلب البركة له فوافق، فصليت لأجله وطلبت الإرشاد من إلهنا الصالح وكذلك الحكمة والحماية، ومنذ ذلك الحين نحافظ على إتصالنا معاً بالرسائل الإلكترونية.

التابوت

على ظهر سفينة إيرانية التقيت بحميم، وقد كانت معرفتنا قديمة. وجرت بيننا محادثة قصيرة على متن إحدى سفنه السابقة، وفي أثنائها أعطيته فيلم «يسوع». فقال لي الآن أنه أعجب بالفيلم لكن دون أن يترك أي أثر على حياته، وقال أيضاً أنه رأى حلماً مرعباً. فطلبت منه أن يقص علي الحلم. ومن خلال التجربة عرفت أن للأحلام مكانة خاصة عند المسلمين.

قال أنه لم يعد يستطيع الحركة، ولم يستطع حتى أن يومض بعينه. فاعتقد الناس من حوله أنه فارق الحياة فوضعه في تابوت يريدون دفنه. أراد أن يصرخ لكن صوتاً لم يخرج من فمه فاستيقظ مرعباً.

قلت لحميد إن هذا الحلم قد أظهر لك حالتك الروحية، «أنت في معتقداتك الإسلامية تكون ميتاً روحياً ولا يمكنك أن تحرك ذاتك يميناً ولا يساراً ولا حتى تومض بعينيك أو تفتح فمك لأن هذا مُحَرَّم تحريماً تاماً، تشعر وكأنك تُدفن حياً، والمهرب الوحيد أمامك هو أن تضع نفسك بين يدي المسيح ليخلصك. لقد شاهدتَ فيلم المسيح وبدلاً من أن تقوم بإختياره مُخلصاً شخصياً لك تركت الفيلم جانباً. لكن الرب برحمته يُظهر لك النتائج عن طريق الأحلام التي تراها. على أن القصد لم يكن إخافتك، إنه يريدك أن تقوم من الموت، ولهذا أنت تحتاج ليسوع المسيح الذي رأيته في الفيلم والذي أشهد أنا لك عنه. لقد حلَّ معضلة الخطيئة والموت، مات لأجلك، وعن طريق حلمك ولقاءنا ثانية يدعوك الله لتقبل ذبيحة المسيح، وتقبل خلاصه لك من خطاياك». وما هي إلا أن أخذ حميد يبكي قائلاً «أن هذا ما أريده».

هل تعرف ما الذي جعل زيارتي لهذه السفينة شيئاً مميزاً؟ كان هناك مسيحي قوي من قومية مختلفة على ظهر السفينة يدعى يشوع، فأقنعت حميد أن يبدأ بدراسة الكتاب المقدس مع يشوع، وقمت بإعطاء حميد دروساً بالمراسلة بلغته الفارسية ونفس الدورة ليشوع بالإنجليزية.

مشاركة في كرة القدم وفي الإيمان

لقد قمت بزيارة سفينة سامي على مدى ثماني سنوات، وكانت سفينته تأتي إلى ميناءنا مرة كل شهرين وكان سامي مع السفينة في معظم الأحيان. تكلمنا عن عائلتي وكان دائماً مهتماً بأحوالنا. كان له ابن يمارس لعبة كرة القدم وهو أصغر بقليل من إبنني. وقد كان أولادي يكبرون حتى أن ملابسهم كانت تضيق عليهم باستمرار، وكثيراً ما أعطيت سامي قمصاناً خاصة بكرة القدم، سترات تدريب،

وأحذية خاصة بكرة القدم. كنا نسير معاً، نشرب الشاي ونشارك بالطعام. كنا نكُنّ المودة لبعضنا البعض، وكان من الممكن أحياناً أن أشاركه في بعض إيماني ولكن لم يبد أن شيئاً كثيراً سيحدث. كنا فقط نودُّ أحدنا الآخر.

فجأة وبعد ثماني سنوات أخبرني سامي أنه يعاني من مشكلة صعبة. فقال أنه بسبب تقدمه في السن أصبح يجد صعوبة في القيام بالأعمال الجسمانية على ظهر السفينة، وشعر بأنه يجب أن يتوقف عن هذا العمل، هذا بالإضافة إلى أن راتبه لم يعد يكفي لحياة كريمة. لم يزد راتبه بينما ازدادت نفقات المعيشة في بلاده. فعندما كان في البيت وجد الأطباء أن زوجته كانت مريضة جداً وأنه يمكن علاجها بالأدوية، إلا أن هذه كانت باهظة الثمن، وبدون عمل مجد لا يمكنه تأمين الدواء لزوجته.

سألت سامي كم مرَّ من الوقت على صداقتنا. فقال حوالي سبع أو ثماني سنين. فسألته لماذا أقوم بزيارته بصورة دائمة. فأجاب قائلاً، «لأنك صديقي». فوافقته على إجابته وسألته ثانية عن سبب زيارتي له. «أنت تعلم أن هذه ليست وظيفتي، إني أعيش من تقدمات الآخرين ولذلك لا أقع تحت ضغط رئيس أو غيره، أعمل من إرادتي الشخصية، أزور الملاحين على سفنهم يوماً بعد يوم، وأريد أن أسألك مرة أخرى، «لماذا أزورك دائماً؟» فأجاب «بسبب يسوعك». وكان على صواب بكل تأكيد.

قلت «أقول لك أنني أزورك لأن يسوع المسيح يحبك وأنا أحبك أيضاً. وقد قلت لك كم يعني هذا لحياتي. فنحن نستطيع أن نطلب منه كل شيء. يمكن أن نطلب منه أن يشفي زوجتك أو يعينك في وضعك الصعب». ثم أخذ سامي يبيكي، وتعانقنا مع بعضنا البعض وطلب مني أن أذهب معه إلى غرفته وهناك صليت بالدموع لأجل سامي ولأجل زوجته وطلبت من الرب أن يعلن ذاته لسامي ولزوجته.

وبعد مرور سنتين توقف سامي عن العمل في الملاحة ولا تزال زوجته على قيد الحياة. لم تُشفَ لكن الدواء يُبقي وضعها مستقراً على حاله والمال متوفر

لشراء الدواء. وفي بعض الأحيان تَصَلُّني رسائل من مصر موطن سامي يسأل فيها دوماً عن أسرتي، إنه لا يتكلم أبداً عن الإيمان لكن يوجد بيننا هذا السر ونريد أن نلتقي ثانية في مكان يعرفه أيضاً كل منا!

رسالة من زميل

في أحد الأيام زرت سفينة إيرانية. وكعادتي دائماً، دخلت إلى غرفة الإستراحة وقمت بتوزيع بعض مواد القراءة وأفلام الفيديو وقمت بمحادثات قصيرة ومن ثم غادرت السفينة. وبينما وقفت على الرصيف كتبت إسم السفينة على قصاصة ورق لأحفظه في سجلاتي. وبطرف عيني لمحت ملاحاً نازلاً السلم فانتظرت قليلاً ظناً مني أنه يريد سؤالي. تقدّم إلي متردداً ربما لأن البعض من زملائه كانوا يراقبونه من على السفينة، وبسبب تردده قلت له مباشرة إنني مستعد لأن أعود في المساء وأصطحبه إلى بيتي. فكان سعيداً بهذا الإقتراح.

عدت في المساء إلى السفينة حيث كان عباس في انتظاري. وفي السيارة بدأ حديثه مباشرة، فأخبرني بعمره. كان متزوجاً وله ولدان، ثم قال أنه قد وصل إلى منتصف العمر وأراد أن يستوضح بعض الأمور عن حياته، عن الله وعن الأبدية.

كان عباس مسلماً بالولادة لكنه لم يُرد أن يكون بعدُ مسلماً. فقبل نحو ثلاث سنوات عقد العزم على ألا يؤمن بالإسلام، لكنه في نفس الوقت كان خائفاً لأن واحداً من أقاربه قد قتل لأنه تحول عن الإسلام ولهذا لم يخبر أحداً باختياره السري.

شرح لي أن مكانة النساء في إيران متدنية جداً في المجتمع، حتى أن للكلب حقوقاً أكثر، فيُسمح للرجل بضرب زوجته وإذا رغب في امرأة أخرى يطلب تصريحاً من الإمام لتكون عنده خلية، فيسمح له الإمام بذلك بعد استلامه مبلغاً من المال. وفي الجامع يحض القادة الدينيون على الكراهية. كراهية

إسرائيل والعالم الغربي المسيحي. وهكذا تُغسل عقول الأولاد. وفي بيتي قال لي عباس أنه يريدني أن أشرح له عن المسيحية. ففتحت كتابي المقدس وقرأت على مسمعه بعض الآيات وشرحت له الأمور الأساسية من الإنجيل. بيّنت له محبة الله للإنسان من يوحنا ٣:١٦، وأن الجميع قد أخطأوا، رومية ٣:١١، وأن الموت الأبدي عقاب للخطيئة، متى ٢٥:٤٦، وأن يسوع المسيح هو الطريق الوحيد للخلاص، يوحنا ١٤:٦، وأنه لا يمكننا أن نخلص بالأعمال الحسنة أفسس ٢:٨-٩. وبيّنت له أيضاً أنه يجب أن يولد ثانية، يوحنا ٣:٣-٥، وأنا يجب أن ندعو يسوع إلى قلوبنا كما في رؤيا ٣:٢٠ وأخيراً يمكننا أن نحصل على مغفرة كاملة كما جاء في يوحنا الأولى ١:٧-٩، وأنا نستطيع أن نتأكد من أن لنا حياة أبدية كما جاء أيضاً في يوحنا الأولى ٥:١١-١٣.

قدمت لعباس كتاباً مقدساً ودورة دروس بالمراسلة وفيلم يسوع باللغة الفارسية. وقبل أن يغادر قال لي حرفياً أنه قد استمدَّ الإنطباع بأن الله كان يقوده، وقال أيضاً أنه سيكون من الصعب عليه البقاء في بلد تستحيل المشاركة فيه بقناعته الذاتية. وبعد مدة تسلمت رسالة إلكترونية من عباس يقول فيها:

سلام لك يا صديقي،

أنا سعيد للقاء بك، أشكر يسوع لأنه جعلني أتعرف عليك، لقد أتممت جميع فصول دورة الكتاب المقدس، أو من يسوع أنه الطريق الوحيد، أنا سعيد جداً منذ اللحظة التي بدأت فيها الدراسة وإني لمتأكد من أن حياتي قد تغيرت، أرجو أن ألتقي بك قريباً. (ورسالة أخرى منه هذا نصها)

سلام لك يا أخي العزيز في المسيح

أفرح جداً عندما أجد رسالة منك في بريدي، أشكرك جداً لأجل إهتمامك بي. لا يمكنك أن تتصور مدى سروري منذ أن دخل يسوع إلى قلبي، تغيرت حياتي وأنا متأكد من أنه هو الذي يعمل هذا.

أخوك في المسيح

أخذنا نتبادل الرسائل بواسطة البريد الإلكتروني لبعض الوقت، ثم توقفت رسائله فجأةً. فتساءلت عما يكون قد حدث وصلت لأجله. وأخيراً وصلت رسالة من حيث لا أدري:

لقد مر وقت طويل على إتصالنا. إني مشتاق إليك وأشكرك لأنك لم تنسني. إضطرت أن أخفي صورتك لئلا تجدها شرطة الأمن ويكون خطر شديد علي، فهم يراقبونك حين تصعد إلى السفينة. لقد احتجزوني واستجوبوني لأنه لم يعد لدي إهتمامٌ بالإسلام. يشكُّون فيّ لأنني قلت للبعض أموراً إيجابية عن المسيحية لذلك لا أحمل كتاباً مقدساً على ظهر السفينة خوفاً من أن يجدوه فيعاقبونني عقاباً شديداً. أرجو أن ترسل لي رسائل من كلمة الله. أشتاق أن أراك ثانية عما قريب.

ومنذ ذلك الوقت صرت أرسل لعباس آيات من الكتاب المقدس مع شرح لها. يقرؤها ثم يحوها. وها هو ينمو في المسيح!

علبة من الكعك تحدثُ فرقاً

يحدثُ أحياناً أن ملاحاً يريد أن يبدي إمتنانه لي لأنني زرتُه وزرت زملاءه وقد حدث هذا معي على متن سفينة إيرانية وقد استلمت علبة من الكعك الإيراني الأصلي.

بعد يوم قضيته في زيارة السفينة لم أذهب إلى البيت، وكما لو كان إلهاماً، بل تابعت سفري مباشرة إلى زوجين سأدعوهما مهدي وفرحة. يلعب إبنهما مع إبنني في فريق كرة القدم وهو من إيران يدعى حامد. تعرفت على والديه، مهدي وفرحة والتقيت بهما عدة مرات في مقصف كرة القدم. تجاذبنا أطراف الحديث قليلاً عن أبنائنا وعن كرة القدم. وعلى الرغم من أننا تحدثنا قليلاً فقد أحببتهما حقاً وأحسست ان هذا الشعور كان متبادلاً. كانا سعيدين عندما فتحنا لي باب بيتهما.

قلت لهما أنني أتيت لأقدم لهما هدية من إيران. فسألا من أين حصلت على هذا الكعك. فأخبرتهما أنني مبشرٌ ولذلك أזור ملاحين على ظهر سفنهم وكثيراً ما أזור سفناً إيرانية. فكانا مندهشين لذلك. وكان علي أن أشرح لهما عن إيماني.

قلت لهما أنني أؤمن بالإله الواحد، يسوع المسيح، الذي جاء بنفسه إلى هذا العالم ليخلصنا، وشرحت لهما أيضاً كيف أنه لا يمكنني العيش مع خطاياي فيما بعد، وكيف أنني فتشت ولسنين طويلة عن حل لهذه المشكلة. فلقد اكتشفت أن كل ديانة تطلب مني أن أكون كاملاً وقد أدركت أن هذا أمراً مستحيلاً بالنسبة لي. لم تستطع أية ديانة أن تحل لي مشكلتي. كنت أتوق لأكون كاملاً لكنني وجدت أن كل ما بحثت أكثر اكتشفت أن خطايا كثيرة تعشش في داخلي، وقلت لهم أن الإله الوحيد الذي أستطيع أن أؤمن به هو ذلك الإله المستعد أن يغفر خطاياي. أخيراً أخبرتهم أن هذا الإله موجود وقد أظهر ذاته بالمسيح يسوع. تحدثنا ساعات وساعات وكان كل ما في حديثنا ممتعاً وبإحساس بالسعادة غادرت إلى بيتي.

وبعد أسبوعين دعيت إلى العشاء، فقضينا وقتاً ممتعاً أيضاً، لكن فرحة أرادت أن تعرف بشكل خاص كل شيء عن يسوع، لكن أريد أولاً أن أقص عليكم حكايتهما وما هي:

ولد مهدي في مدينة أصفهان في إيران وقد كان أبوه مفكراً متحرراً، كان يذهب إلى المسجد فقط ليشترى الطعام أو ليقص شعره ولم يكن أبداً لهدف ديني أو إحتفال. وقال مهدي أن يبحث لنفسه عن الله ويتعلم، «لهذا يجب أن تكون منفتحاً دائماً فهذه الطريقة يمكنك أن تنمو وتصبح كاملاً». علّمه والده أن يقرأ مختلف الكتب-القرآن، التوراة وكتب أخرى، وكلما ازدادت الكتب يكون ذلك أفضل، كما وشجعه على الحديث مع أناس من مختلف الأديان ليتعلم منهم. كان والده يعمل في مكتب الشاه، وبعد ثورة الخميني، واجهت الأسرة المصاعب، فقد والده وظيفته وألزم مهدي بالخدمة العسكرية، وقد لاقى

معاملة قاسية لأنه كان يرفض الذهاب إلى المسجد. وبعد تسريحه من الجيش كان يصعب عليه إيجاد وظيفة وعندما يصدف ويلقى عملاً لا يبقى فيه طويلاً. كان الضغط الديني على أشده، سيق إلى الشرطة مرات عديدة لإستجوابه، وفي غضون ذلك الوقت تعرّف مهدي إلى فرحة التي كانت من مدينة أخرى تدعى عبّدان. إنتقلت فرحة مع عائلتها إلى أصفهان. كانت فرحة تنحدر من خلفية صوفية. وحسب معتقدها يجتمع الناس في بيوت وليس في مساجد. كانت تؤمن بالبحث الداخلي عن الله وأن شيئاً من الحق يوجد في كل الديانات، لذلك كان طبيعياً لها أن تحترم كل ديانة وكل شكل من أشكال الإيمان. كانت تؤمن أنه ينبغي أن تبحث عن الإنسجام والمحبة والجمال وأنه من الممكن أن تجد الله في كيائك الداخلي. في أصفهان إلتحقت بالجامعة حيث تعرفت إلى مهدي وهكذا تم زواجهما وأنجبا صبياً أسمياه حامد.

في سنة ١٩٩٣ أصبح من الممكن على نحو فجائي مغادرة البلاد، وكان أمامهما فرصة إختيار بين إحدى دولتين، وقد كانا مضطرين لاتخاذ قرار الإختيار خلال سبعة أيام، وكانا ملزمين بدفع مبلغ كبير من المال، وهكذا وصل ثلاثتهما إلى هولندا، ثم أتاحت لهم الفرصة لإقتناء بيت في قرية صغيرة قريباً من مكان سكناي حيث ولد لهما ابن ثان أسمياه علي رضا، وها هم يتمتعون الآن بإرتياح تام في هذه القرية الصغيرة.

ولأن فرحة أرادت أن تعرف أكثر عن يسوع المسيح فقد دعوتها للمشاركة في مجموعة لدراسة الكتاب المقدس. كانت هذه مجموعة دولية، وكانت الدراسة باللغة الإنجليزية وكانت تضم أناساً من الفيليبين، سنغافورة، العراق، بيرو، الصين، كوريا ومن هولندا بطبيعة الحال، فانضمت فرحة إلينا. كنا في ذلك الوقت ندرس كتاب «الحياة المنطلقة نحو الهدف». كانت الدراسة لمدة ستة أسابيع وفي الأسبوع الأخير أقمنا حفل عشاء حيث انضم إلينا الأقارب والأهل، وقد حضرت فرحة مع مهدي وولديهما. كنا جميعاً حوالي أربعين شخصاً وكان

الجو ممتعاً. قَبِلَتْ فرحة يسوع المسيح مُخْلِصاً ورباً لها. كانت متعطشة جداً واستمرت في الدراسة. أما مهدي فقد تَقَبَّلَ إختيار زوجته وقال أنه يقبل بكل نوع إختيار بشرط واحد، وهو أن يرى تغييراً حقيقياً في حياتها، وقد لاحظ أنها تتغير، وطلب منها أيضاً ألا تخبر أناساً كثيرين من إيران بالرغم من أنه ليس لهما الكثير من الإلتصال بإيرانيين آخرين في هولندا.

طبعاً، دعوت مهدي أيضاً ليقوم بنفس الإختيار لكنه لم يقم بذلك حتى الآن إذ أنه لا يرى حاجةً بذلك. إنه يقول لي أنه لا يزال يتعلم ويستطيع أن يتخلص من خطاياها بالإختيار الصحيح ما بين الصلاح والشر في حياته. إنه إنسان لطيف ويشرفني أن أدعوه صديقي العزيز، إني أحبه وأصلي من أجله، أصلي كي يفتح الله عينيه على المسيح أيضاً.

كلمة أخيرة لك صديقي،

والآن بعد أن قرأت عن تعاملات الله مع أشخاص عديدين من جنسيات وخلفيات مختلفة، وكيف تَغَيَّرت حياتهم للأفضل بعد أن آمنوا من كل قلوبهم بالمسيح واقتنعوا به وقبلوه مخلصاً لهم من خطاياهم، أوجه لك هذا السؤال، ماذا عنك، وهل تحتاج لعون الرب يسوع المسيح؟ ربما تكون مثل أحد هؤلاء الأشخاص المذكورين في هذه القصص،

إن الله يدعوك الآن لتؤمن بالمسيح وتَقَبَّلَ ما يقدمه لك من خلاص ومحبة وغفران ونعمة مجانية، لأجل خاطر ابنه المحبوب يسوع المسيح. تعال لا تَوَجَلْ لأنه لا ضمان في هذه الحياة، بل في المسيح وحده.

الناشر